الظّلم

★ وَمَا مِنْ يَدٍ إلّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا ... ولا ظَالِمٌ إلّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

★ والظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإنْ تَجِدْ ... ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

المتنبّي

★ وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

طرفة بن العبد

★ أَمَا واللهِ إنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ ... وإنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

أبو العتاهية

★ لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيكَ بِالنَّدَمِ

نَامَتْ عُيُونُكَ والمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

★ وَلَمْ أَرَ ظُلْمًا مِثْلَ ظُلْمٍ يَنَالُنَا ... يُسَاءُ إلَيْنَا ثُمَّ نُؤْمَرُ بِالشُّكْرِ

★ يَوْمُ المَظْلُومِ على الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ على المَظْلُومِ. — الإمام علي

★ الخَسَارَةُ خَيْرٌ للإنْسَانِ مِنْ كَسْبِ الحَرَامِ والظُّلْمِ. — شيلون

★ كُلُّنَا جُنُودٌ ضِدَّ الظُّلْمِ. — فولتير

★ الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ. — مثل عربي

★ على البَاغِي تَدُورُ الدَّوَائِرُ. — مثل عربي

★ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ — مثل عربي

إنما يتكون من ماء الرجل وماء المرأة معا ويستحيل تكونه بماء واحد منهما. هذا أولا.

ثانيا : أن هذا الماء (المرأة والرجل) هو ماء دافق لا تختص هذه الصفة بطرف دون آخر.

الأمر الآخر الذي حير المفسرين أشد الحيرة هو مسألة الصلب والترائب، وهي معضلة حقيقية لم تكتشف علميا إلا في السنوات الأخيرة، ونظرا لتشعبها وتبوئها باجتماع عدد علوم هي الكيمياء الحيوية (Biochemistry)، وعلم الأجنة (Embriology)، علم وظائف الأعضاء (Physiology)، علم عدد الصماء (Endocrine). فنحن نقتصر هاهنا على مختصر غير مخل، فقد ثبت أخيرا ثبوت الحقائق المشاهدة. إن أماكن تكون ماء الرجل (الخصية) وماء المرأة (المبيض) إنما تبدأ بزرعم جنيني في الأسبوع التاسع من عمر الجنين في بطن أمه وإنها تبدأ في مكان الكلية التي تشترك مع الأعضاء التناسلية في نفس الزرعم، وأن هذا الزرعم ينفصل إلى جهاز بولي (كلية - حالب - مثانة) وجهاز تناسلي (خصية - حبل خصية يحتوي على الأوردة والشرايين والوعاء المنوي) (مبيض حبل يحتوي أوردة وشرايين لتغذية المبيض).

هذا المكان واقع تحديدا في الزاوية المكونة من التقاء العمود الفقري (الصلب) والأضلاع الأربعة السفلى (الترائب) وهذا هو مستقر الكلية عند خروج الجنين من بطن أمه وأن الخصية، والمبيض عند تكون الأولى في هذا المكان تبدآن في الترحرح نزولا أثناء وجود الجنين في بطن أمه حتى تستقر الخصية في الصفن ويعذيها الأوعية الدموية النازلة من نفس مكان تكونها الأول (بين الصلب والترائب) ونفس الأمر بالنسبة للمبيض إذ يستقر في الحوض للمرأة نازلا بعروقه الممتدة إلى منطقة (بين الصلب والترائب). هذا من ناحية التكوين المكاني التشريحي.

أما التكوين الفعلي للماء فقد ثبت أنه يتكون كاملا مكتملا في مبيض المرأة في هذه الفترة المبكرة وقبل نزوله فهو منخبض ومتكون بين الصلب والترائب (كل بويضات المرأة طوال عمرها تتكون في المبيض في الرمن الجنيني داخل رحم الأم) ومثلها ما يسمى (Germal cells) (الخلايا التناسلية) في الخصية ومنها يحدث التطور بعد البلوغ لتكوين المني.

والخاصل أنه كيميائيا، وبتأثير إفرازات الغدد الصماء على الخصية والمبيض وهي هرمونات ستارية في الدماء وخاصة دماء شريان الخصية وشريان المبيض الآتية من بين الصلب والترائب (تشريحيا) يتم (تخليص) يخرج بمعنى (يخلص) المني من عناصر أخرى

كثيرة، شأن خلوص اللبن كذلك من بين فرث ودم، فنفس السياسة المقررة في تخلص اللبن من الفضلات الدموية، كذلك يحدث في سائل المبايض، والسائل المنوي (وهي مقارنة معجزة بين إشارات القرآن العلمية في مجالات مختلفة (اللبن والمني) لإثبات حقيقة علمية. فثبت به بالمشاهدة والرؤية والمعاينة أن الماء يخرج من بين الصلب والترائب في كل من الرجل والمرأة وسواء من ناحية المكان التشريحي، أو التخلص الكيميائي، أو الأثر الهرموني، من غير تردد أو اختلاف.

ولا شك أن هذا التفسير العلمي إنما يقطع النزاع عن طريق درء التعارض بين النقل والمعاين المحسوس، وهو أصل عظيم قرره العلماء فيما هو أبعد من ذلك عن طريق تقرير قاعدة(درء تعارض العقل والنقل) فإذا كان المعقول الصريح لا يمكن أن يعارض المنقول الصحيح، فلا شك أن المشاهد المعاين يستحيل أن يعارض القرآن الكريم.

الهوامش:

[1] تفسير ابن كثير - جزء ٧ - ص ٢٦٥

[2] الطبري - الجزء السابع - ص ٥٠١

[3] معترك الأقران ص ٢٦ - ٣١

[4] (مرحلة المطفة -)، مارشال جونسون - عبد الحميد لزيدان - مصطفى أحمد).ص. ٣٧

[5] د. صبحي - عمران الملش - دار الندى - بيروت لبنان - الطبعة الثانية - ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٨٦

[6] الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩١ م - دار المستقبل للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - د. عبد الحميد الشاعر - د. هشام كنعان - د. عماد الخطيب، د. هشام الخطيب، د. عبد القادر المكاوي، ص ٣٦٧

[7] المرجع السابع ص ٣٦٨

[8] مذاهب الإسلاميين - جولد تسهر ص ٣٧٤ - الطبعة الثانية ١٣٠٤ هـ/١٩٨٣ م، دار الفرا - بيروت لبنان

خَيْرُ المُحَادِثِ والجَلِيسِ كِتَابُ ... تَحْلُو بِهِ إنْ مَلَّكَ الأَصْحَابُ

لا مُفْشِيًا سِرًّا إذا أَسْوَدْعْتَهُ ... وتُنَالُ مِنْهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابُ

المتنبي

يحمل البيضة يخرج مندفقا إلى قناة الرحم (فالوب)، وأن البيضة لابد أن تكون حيوية مندفقة متحركة حتى يتم الإخصاب[4].

وفي تجربة علمية لدراسة حركة الحيوانات المنوية Mobility of sperms جاء في كتاب (فسيولوجيا الحيوان العلمي)[5] قال: "اضبط الحقل مستعملا القوة الصغرى، وافحص بالقوة الكبرى، ولاحظ أن بعض الحيوانات المنوية تتحرك حركة متقدمة progressive or advanced motion والبعض يتحرك حركة غير متقدمة Non advanced motion في حين أن البعض الآخر لا يتحرك إطلاقا Immotile sperms . لاحظ أنه كلما زادت نسبة الحيوانات المنوية التي تتحرك حركة متقدمة، كلما دل ذلك على حيوية عالية للحيوانات المنوية الموجودة في السائل والعكس صحيح". قال: "افحص الشريحة بالقوة الكبرى ولاحظ أن الحيوان المنوي الطبيعي يتكون من:

أ - الرأس Head وفي مقدمتها الكاب Cap

ب - العنق Neck

ج - الجسم Body

د - الذيل Tail

هـ - الخيط الطرفي Terminal filament

وجاء في كتاب (أساسيات علم وظائف الأعضاء)[6] "والنطاف تستطيع أن تعيش لعدة أسابيع في القنوات الجنسية في الرجل، ولكن بعد قذفها مع السائل المنوي فأقصى فترة لحياتها هي من ٢٤-٧٢ ساعة"، قال: "كمية المني التي تقذف في المرة الواحدة بعد عدة أيام من الانقطاع عن الجماع هي حوالي ٢-٤ سم٣ كمية المني وعدد النطاف تنقص بالدفق المتكرر علما بأن نطفة واحدة هي التي ستلقح البويضة. كل ١ سم٣ من المني يحتوي في الأحوال العادية حوالي ١٠٠ مليون حيوان منوي، ٥٠٪ من الرجال الذين عدد نطافهم أقل من ١٠ مليون نطفة في كل ١ سم٣ عقيمون Sterile تتحرك النطاف عبر الجهاز التناسلي الأنثوي بسرعة تقرب من ٣ مم/دقيقة". "ومن ناحية الحركة يجب أن يكون حوالي ٦٠-٨٠٪ من النطاف تتحرك بنشاط عندما تفحص بعد فترة تتراوح من ٣-٦ ساعات بعد الدفق"[7].

فهذا كلام العلماء التجريبيين بالمشاهدة العينية مع استخدام أحدث الوسائل المجهرية (القوة الصغرى والقوة الكبرى) ورؤية ما بداخل (الماء الدافق) من مائة مليون كائن حي يسعى مندفعا بقوة ٣ مم/دقيقة، وهي

سرعة هائلة بالنسبة لحجمه، وأنه مكون من رأس وعنق وجسم وذيل وكلها تتعاون لأداء أنشط درجة من الاندفاق والاندفاع الذاتي. وأن الحركة الذاتية ذات ضروب متعددة، وأنه يعيش ساعيا مندفعا ولمدة ثلاثة أيام كاملة بعد خروجه من إحليل الرجل.

أليس ذلك فصلا للنزاع حول المسألة اللغوية المحيرة للمفسرين بحيث لو أنهم قدر لهم الوقوف على هذه المعلومات القطعية الدقيقة المشاهدة، والتي لا تقوم على فروض ونظريات بل على حقائق علمية بصرية هي بديهيات. وهل بعد هذه المعلومات الصادمة لعقل كل متردد مرتاب، هل بعدها يستساغ قول القائل: أن كلمة (دافق) (مخالفة للأصول، وإنما جاءت مراعاة للفاصلة) وهو قول أقل ما يقال فيه أنه (مخالف للأصول العلمية والشرعية).

يقول الشيخ محمد عبده: "إن كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة، لأن القول بمراعاة الفواصل إنما الضرورة، كما قالوا في كثير من السجع والشعر إنه قدم كذا أو آخر كذا لأجل السجع أو لأجل القافية، والقرآن ليس بشعر ولا التزام فيه للسجع، وهو من الله الذي لا تعرض له الضرورة، بل هو على كل شيء قدير، وهو العليم الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه"[8].

إنها الثمرة المفحمة للإعجاز العلمي في حل طلاسم طال الطواف حولها، وفك ألغاز طالما احتار المفسرون حولها، وبضربة واحدة انكشف الأمر واتضح المعنى واستقر التفسير، وثبت الإعجاز العلمي في آن واحد.

أما عن خروج ماء المرأة دافقا أيضا فهو حقيقة علمية أخرى وردت بنفس الوسائل العلمية، وثبت بالرؤية والمعاينة والمشاهدة أنه لابد من اندفاع البيضة بقوة هائلة بالنسبة لحجمها وسط سائل متفجر عند (انفجار) حوصلة جراف Graffian follicle وأنها تطير في التجويف البريتوني الشاسع الهائل بما فيه بالنسبة لحجمها الذي لا يزيد عن ١/١٠٠٠ من المليمتر، وأنها بعد ذلك لها من الحيوية والحركة ما تسير به في قناة فالوب كي يتم تخصيبها بماء الرجل. وهذا الأمر ثابت بالرؤية المجهرية في كتب علم الأجنة ظاهر الوضوح والظهور (انظر كتاب Keith L. More - علم الأجنة - كيث مور (Human Development) لتثبت به لإثبات هذه الحقائق المذهلة ومدى مطابقتها لتصريح القرآن.

فوقع بما ذكر الانسجام التام بين مقررات القرآن في علم الأجنة، وأن الجنين

وجه المناسبة، إن القرآن العظيم – كما جاء في الآية – لاتقتضي عجائبه" انتهى

فهذه أقوال المفسرين في الآيات المذكورة، وقد اقتصرنا على التفاسير المذكورة لوجود الفترة الزمنية بينها وجمعها لكافة الأقوال، بحيث أن غيرها من التفاسير لم تزد عن الآراء المذكورة فيها.

وهو مثال واضح على الاضطراب العظيم في الأقوال، والتناقض أحيانا بينها، والاختلاف حول المعنى اللغوي والتفسيري، وفي النهاية لم ينته التفسير إلى وجهة محددة أو معلومة ظاهرة، بل بقي الأمر على عماه، والآيات من غير تأويل يستفيد منه المتعلم، وينتفع به الراغب في ذلك.

ومن ذلك أمور :

أولا : فرروا – بإجماعهم تقريبا – أن الإنسان خلق من الماء الدافق أي مني الرجل فقط وهو مخالف لما استقر عليه التفسير في آيات أخرى من الإجماع على أن الإنسان يخلق من ماء الرجل (المني) وماء المرأة (أصفر رقيق) ضرورة ولا يمكن أن يخلق بأحدهما فقط.

ثانيا : اعتبارهم يشبه إجماع أن الماء الدافق يعني المدفوق، أي صرفه على غير ظاهره لاستحالة أن يكون "الماء" فاعلا، لأن الفاعل حي ولا محالة أو من هو في حكم الحي، والمني عندهم ميت لا حياة فيه، فهو مفعول به وليس فاعلا، ومنهم من بالغ فاعتبر أن ذلك مخالف للأصول العربية والبلاغية، وأنه جاء مراعاة للفاصلة.

ثالثا : اضطراب تام في مسألة الصلب والترائب، فمنهم من ذكر المعنى اللغوي وهو مغاير للمشاهد المحسوس ألا وهو خروج ماء الرجل من الإحليل، وبالطبع أعرض تماما عن ماء المرأة. فبقيت الآية بدون تفسير إذ كيف يخرج ماء الرجل، أو ماء المرأة من عظام الصدر أو الظهر.

ومنهم من اجتهد في إيجاد تفسير عقلي استنتاجي كمن قال أن الماء يخرج من الدماغ "ويمر" بين الصلب والترائب، بينما الآية تجزم بأنه "يخرج" من بين الصلب والترائب. ومنهم من قال استنتاجا (من بين اليدين والرجلين والعينين) ودون كيف ولا توضيح لوجه العلاقة بين هذه الأعضاء من جانب وبينهما وبين الماء (المني) أو ماء المرأة من جانب آخر. ومنهم من قال إنه من صلب الرجل أي ظهره، وأنه محتبس فيه (المني) فإذا خرج منه أحدث أذا في الظهر مع كثرة الجماع، فأوجد علاقة تصويرية بين آلام الظهر عقب الجماع ووجود المني في الظهر أي الصلب، ولكنه لم يورد دليلا شرعيا أو علميا على ذلك.

وأكثرهم استنفدوا معنى الترائب لغة أي أنها عظام الصدر، أو الأربعة السفلى من الضلوع، أو مكان قلادة المرأة، أو جيدها (عنقها) أو ما تحت الثديين، أو ما فوق الثديين، وكل استدل على قوله من المعاجم وشعر شعراء العرب لتأكيد نظرته اللغوية، ولكنهم بالإجماع لم يذكروا علاقة ذلك جميعه بالآية ولا كيفية خروج المني في الرجل، أو الماء في المرأة من هذه المواضع. أي أنهم أغفلوا تماما تطبيق هذه اللغة على الآية المطلوب تفسيرها.

رابعا : اختلفوا في خروج الولد وهل هو من الماء الخارج من صلب الرجل وترائبه، أو هو يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، فإن قيل بل هو مني الرجل من صلبه فقط وماء المرأة من ترائبها فقط، واختلاطهما يؤدي إلى حدوث أصل الصلب والترائب جميعا، قيل : فإنه يترتب على الاختلاط وليس الخروج، والآية حازمة في أن الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، أي أرجعت ذلك إلى الخروج وليس الاختلاط.

خامسا : إنهم جميعا اعتبروا الماء الدافق هو ماء الرجل، ولا ذكر لماء المرأة لما هو مشاهد من أنه (غير دافق). فقصروا الماء على الرجل.

فمما سبق يتبين أن الاقتحام في تفاسير علمية خاصة بفرع معين من العلوم الكونية والنفسية من غير وسيلة علمية مؤد لما رأيت من الحيرة والاضطراب والتداخل والاستنتاج الذي لا دليل علمي ولا عقلي ولا شرعي عليه. وهي معضلة سارية في التفاسير ولا جواب لها إلا بالعلم الحقيقي بالأمر، ولا يكون ذلك إلا بتقنيات متطورة للغاية وهي حصاد جهاد أجيال عبر المعامل وتحت المراصد وبين المجاهر، وهو ما لم يتوفر لأصحاب التفاسير يقينا، فأدى بهم إلى هذا الخلاف العظيم.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفصل الخطاب

أولا : الماء الدافق :

جاء في كتاب علم الأجنة بين القرآن والسنة : "يخرج ماء الرجل متدفقا ويشير إلى هذا التدفق قوله تعالى : {فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق}". ومما يلفت النظر أن القرآن يسند التدفق للماء نفسه مما يشير إلى أن للماء قوة دفق ذاتية. وقد أثبت العلم في العصر الحديث أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة وهذا شرط للإخصاب. وقد أثبت العلم أيضا أن ماء المرأة الذي

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

"صورة وإعجاز"

بقلم: دكتور توفيق محمد علوان*

لقد اكتشف العلماء وجوهـا كثيرة للإعجاز القرآنى، ولكن العصر الحديث بمكتشفاته قد أظهر وجها باهرا للإعجاز القرآنى، ألا وهو "الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم". وفى هذا الباب الجديد من مجلة التراث نتشرف بتقديم سلسلة من الآيات العلمية الباهرة فى القرآن الكريم، مؤيدة بالصور العلمية الناطقة بإعجاز القرآن الكريم تحقيقا لقوله تعالى: {سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}.

معجزة الماء الدافق والصلب والترائب

يقول الله تعالى: {فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب} سورة الطارق (٥-٧)

قال ابن كثير: {خلق من ماء دافق} يعنى المنى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد، بإذن الله عز وجل، ولهذا قال: {يخرج من بين الصلب والترائب} يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها. وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس {يخرج من بين الصلب والترائب} صلب الرجل وترائب المرأة أصغر رقيق لا يكون الولد إلا منهما. وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة عن مسعر، سمعت الحكم بن عباس {يخرج من بين الصلب والترائب} قال: هذه الترائب ووضع يده على صدره.

وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس: ترقيبة المرأة موضع القلادة، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثديها. وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر، وعنه أيضا: الترائب أسفل من التراقى. وقال سفيان الثورى: فوق الثديين. وعن سعيد بن جبير: الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل. وعن الضحاك: الترائب ما بين الثديين والرجلين والعينين. وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبى حبيبة المدنى أنه بلغه فى قول الله عز وجل {يخرج من بين الصلب والترائب} قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد وعن قتادة {يخرج من بين الصلب والترائب} من بين صلبه وظهره ... انتهى.

وقال الطبرى: {خلق من ماء دافق} يعنى: من ماء مدفوق، وهو مما أخرجته العرب بلفظ فاعل وهو بمعنى المفعول. ويقال: إن أكثر من يستعمل ذلك من أحياء العرب سكان الحجاز إذا كان فى مذهب النعت، كقولهم: هذا سر كاتم، وهم ناصب، ونحو ذلك[1].

وقوله: {يخرج من بين الصلب والترائب} يقول: يخرج من بين ذلك، ومعنى الكلام: منهما، كما يقال: سيخرج من بين هذين الشيئين خير كثير، بمعنى يخرج منهما.

واختلف أهل التأويل فى معنى الترائب وموضعها. فقال بعضهم:

الترائب: موضع القلادة من صدر المرأة.

وقال آخرون: الترائب: ما بين المنكبين والصدر.

وقال آخرون: هو اليدان والرجلان والعينان.

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه يخرج من بين صلب الرجل ونحره.

وقال آخرون: هى الأضلاع التى أسفل الصلب.

وقال آخرون: هى عصارة القلب.

والصواب من القول فى ذلك عندنا قول من قال: هو موضع القلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم[2]

وقال السيوطى[3]

وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى كتابا سماه (إحكام الرأى فى أحكام الآى) قال فيه: اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب بها أمور من مخالفة الأصول. قال: وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على ما ينيف على الأربعين حكما: قال: "٣٢- وقوع الفاعل موقع مفعول نحو (عيشة راضية) القارعة (٧) {ماء دافق} الطارق ٦" قال: قال ابن الصائغ: لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع

---

*دكتور بجامعات مصر واليمن والسودان، حاليا دكتور التفسير وعلوم القرآن بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا إندونيسيا، دكتور أخصائى الجراحة العامة وجراحة الأوعية الدموية - جامعة الإسكندرية مصر.